DOI:10.52113/uj05/021-14/876-885 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

BM-Publisher

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

مجلة اوروك للعلوم الانسانية

www.muthuruk.com : موقع المجلة

تحليل الخطاب في رسائل أبي العلاء المعري في ضوء الافتراض

وسام عبد الساده حرجان *

كاظم داخل جبير

جامعة المثنى /كلية التربية للعلوم الإنسانية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة:

تاريخ الاستلام: 2021/4/5

تاريخ التعديل : 2021/4/11

قبول النشر: 2021/4/22

متوفر على النت: 2021/6/30

الكلمات المفتاحية :

الافتراض

أبو العلاء المعري

المقصد

الغرض

الغاية

الملخص

تعد الوظيفة التواصلية مِنْ أهم وظائف اللغة, وحتى يتم التواصل بنجاح, وذلك بإيصال المتكلم مقاصده الخطابية وأغراضه إلى متلقيه كان لزاماً على المتكلم اللجوء إلى مسالك يحاول بها تحقيق غايته الخطابية أو إيصال مقصوده لمخاطبه.

وتكمن أهمية هذا البحث في استنباط المقاصد والأغراض والغايات الخطابية في رسائل أبي العلاء المعري بالاعتماد على القرائن المعنوية واللفظية المنصوبة في الخطاب العلائي لتوجيه المتلقي إلى معنى مما يحمل الخطاب من دون المعاني الأخرى, وهذا ما سنبينه ممّا يُعرف بـ(الافتراض).

©جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2021

المقدمة

عُدَّ الخطاب في الدراسات اللسانية الحديثة الغربية منها والعربية موضوعاً شرعياً للدرس, ولذلك شرع الباحثون في هذا المجال في تفكيك الخطاب إلى مكوناته الأساسية كعناصره اللغوية ،وسياقه ،وأركانه ،وأثر تلك المكونات في نجاح عملية التواصل، وأهمية هذا التحليل متأتية من وظيفة اللغة الأساسية التي هي إقامة التواصل بين أفراد المجتمع.

تبدأ عملية التخاطب باللجوء إلى مسالك يحاول بها المتكلم تحقيق غاياته الخطابية أو إيصال مقصوده إلى مخاطبه, وتتعدد المسالك الخطابية بين المتكلمين فضلاً عن تعددها عند المتكلم الواحد في سياقات ومقامات المتنوعة, بل قد تتعدد بتعدد الغايات المرجو تحقيقها.

فإذا كان تصريح المتكلم عن مقصوده مِنْ خطابه ينسجم ومقامٍ ما, فإنَّ مسلكي التلميح والإبهام يكونان خيارين مستحسنين في مقام آخر.

وقد يعمد المتكلم إلى تضمين كلامه بعض الافتراضات, فيكون ناقلاً لأكثر مِنْ معنى مما قيل, ولما كان الخطاب يمكن أنْ يكون حاملاً لأكثر مِنْ معنى في آنٍ واحد كان لزاماً على المتكلم التعاون مع متلقيه للوصول إلى المقصود مِنَ الخطاب, ووسيلته في ذلك نصبه قرينة أو أكثر تدل على مراده مِنْ خطابه.

وسنبين في هذا العمل أثر القرينة في الوصول إلى المقاصد والأغراض الخطابية بالافتراض فضلاً عن العلاقة بين الافتراض وسوق المتكلم قرينة تدل على مقصوده مِنْ الخطاب.

وقد جاء هذا البحث مشتملاً على مدخل بينت فيه مفهوم نظرية المسالك والغايات للدكتور محمد محمد يونس، وأوجزت القول في

*الناشر الرئيسي : E-mail : wisam324@gmail.com

المسالك ،ثم تناولت (الافتراض) بالتفصيل ،لبيان ما له من أثر في تحليل الخطاب في رسائل المعري وقد سبق بمقدمة وختم بأهم النتائج .

مدخل

يقصد بـ(تحليل الخطاب) اصطلاحاً: "تفكيك الخطاب (أو النص) وحلّه إلى وحداته التي أسهمت في بنائه الشكلي ودلالته؛ للتعرف على وظيفة كل عنصر منها في الخطاب, وأثرها فيه؛ لاستنباط أسراره ومقاصده"[1].

وقد اخترنا منهجاً مِنْ مناهج تحليل الخطاب ينسجم والرسائل العلائية؛ لبيان مقاصد المتكلم وغاياته الخطابية, وهذا المنهج هو نظرية الدكتور محمد محمد يونس التي سماها بـ(نظرية المسالك والغايات).

قامت هذه النظرية على فكرتين أساسيتين:

1- إنَّ الخطاب بنية معرفيَّة مركبة مِنَ الإحالات المرجعية, ولذا ينبغي مراعاة ذلك في إنتاجه وتلقيه وتفسيره وتحليله وتقييمه.

2- وأنَّه عملٌ إرادي ينتج عن مسلك ويرتبط عادة بمقصد, وغرض, وغاية (بالمعنى الخاص لهذه المصطلحات)"[2].

إذ "لا يمكن لمتلقي الخطاب أنْ يتمكن مِنْ استيعابه من دون أنْ يحلل المسالك المتبعة في صوغه وأنْ يدرك:

1- مقصده السياقي.

2- غرضه الإبلاغي.

3- غايته الاجتماعية.

من دون أنْ يتوسل بالمرجعيات اللسانية والبلاغية والسيكولوجية والاجتماعية التي أسهمت في بنيته"[3].

أمَّا حد المسلك الخطابي فهو: "طريقةٌ في التعبير ترتبط بخطة ذهنية بسيطة أو مركبة ترمي إلى استثمار بعض المعطيات الوضعية أو السياقية أو القدرات المنطقية أو الأصول التخاطبية أو الوسائل الخطابية المتاحة أو أكثر مِنْ نوع منها لتحقيق غاية أو أكثر مِنْ غايات التخاطب"[4].

وحد المسلك هذا قريب مِنْ حد الاستراتيجية التي عُرِّفت بأنَّها: "عبارة عن المسلك المناسب الذي يتخذه المُرسِل للتلفظ بخطابه, مِنْ أجل تنفيذ إرادته, والتعبير عن مقاصده التي تؤدي إلى تحقيق أهدافه"[5].

وهذا يدلك على أنَّ الاختلاف في المصطلح أكبر منه في المفهوم.

ومسالك الخطاب عند الدكتور محمد محمد يونس هي: "المسالك البيانية (التي ترتبط بمراد المتكلم مِنْ خطابه أهو البيان كما هو المعتاد أم التضليل كما في الإبهام والتورية), ويندرج تحتها المسالك التصريحية والتلميحية.

ومنها المسالك الموقفية أو التفاعلية (كالشك والحسم والحذر والهجوم والدفاع والتأدب).

ومنها المسالك البنائية التي تُعنى بالشكل الخطابي ويندرج تحتها نوعان: نوع على مستوى الجملة ويسمى مسلك النظم... ونوع على مستوى النص ويسمى مسلك التأليف, وتندرج تحتها المسالك النمطية (كالسرد, والوصف, والشرح, والحجاج).

وهناك أيضاً مسالك السوق التي تسخَّر فيها القرائن المنصوبة لخدمة مراد المتكلم"[6].

فلما كانت "لغة التخاطب ليست صريحة, وذلك أنَّه توجد قضايا لا يقع التعبير عنها تعبيراً مباشراً"[7], إذ يعمد المتكلم "إلى الوسائل الدلالية فيضمن كلامه بعض الافتراضات أو المفاهيم التخاطبية"[8], وحتى لا يخطئ المتلقي في تحديد مقصود المتكلم, كان لزاماً على المتكلم "نصب قرينة أو أكثر للمخاطَب لتوجيهه نحو معنى معين مِنْ بين المعاني المحتملة للكلام ليكوّن مقصود المتكلم"[9].

والمقصود بالقرينة: "الدلالة اللفظية أو المعنوية التي تمحض المدلول وتصرفه إلى المراد منه, مع منع غيره مِنَ الدخول فيه"[10].

وسنبين فيما يأتي أثر القرينة في تحديد معنىً معين مِنْ بين المعاني المحتملة للكلام؛ ليكون مقصود المتكلم , وتحويل المضامين الدلالية إلى بؤرة كلامية تتمحور حولها الأغراض والغايات التخاطبية, بـ الافتراض.

الافتراض

تقول (أوركيوني) "هو تلك المعلومات التي لم يفصح عنها, فإنها وبطريقة آلية مدرجة في القول الذي يتضمنها أصلاً بغض النظر عن خصوصيته"[11], وعرفه محمد يونس بأنَّه: "معلومة أو زعم أو اعتقاد متضمن في القول على نحو يوحي بأنَّه معهود ومسلَّم به بين المتكلم والمخاطَب"[12], وللافتراض أهمية كبيرة في العملية التخاطبية , إذ "لا يمكن لأي خطاب الاستغناء عن الافتراض المسبق ذلك أنَّه باحتوائه على معطيات يعرفها كل مِنَ المتكلم

DOI:10.52113/uj05/021-14/876-885

والمخاطب لا يعني إلغاء أهميته أو نفيه ولكن يعتبر القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها الخطاب في تماسكه العضوي"[13], والافتراضات تعد "بمثابة المعلومات المدسوسة خفية, أي إنَّها تكون مزودة بملائمة تواصلية أقل شأناً مِن تلك التي تتمتع بها المعلومات البينية, كما أنَّها تحتل مركزاً أدنى مرتبة داخل البنية الدقائقية التي يتألف منها محتوى الأقوال الإجمالي"[14], وهناك فرق بين الافتراض المسبق والاستلزام, فالافتراض "هو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام, أي أنَّ الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين, وليس في الجمل. أمَّا الاستلزام فهو شيء ينبع منطقياً مما قيل في الكلام, أي أنَّ الجمل هي التي تحتوي الاستلزام, وليس المتكلمون"[15], وما يميز الافتراض عن غيره "أنَّه يبقى نفسه مفترضاً وثابتاً حتى في النفي, فقولك: كلب ميري جميل, أو نفيه, كلب ميري غير جميل, يبقى الافتراض ثابتاً في النفي والإثبات وهو (الافتراض) (ميري لديها كلب)"[16].

وتتميز الافتراضات عن الأقوال المضمر بوصفها "أكثر قرباً مِن القطب التصريحي مقارنة بالأقوال المضمرة, إذ يمكن وصف الأقوال المضمرة بالتأويل ويجب الاستعانة بالسياق لإبرازه"[17], "وما يربط الافتراض بالسوق أنَّ القضية المعبر عنها بالافتراض قد تتحول في كثير مِنَ الأحوال نتيجة عملية التبئير المرتبطة ارتباطاً مباشراً بمسلك السوق إلى قضية مندرجة في البنية الدلالية إذا ما أرادها المتكلم أنْ تكون كذلك حتى تقدّم للمخاطب على أنَّها مسلمة مع أنَّها قضية إضافية يراد تمريرها تمريراً خفياً كي لا تبدو كأنَّها البؤرة الأساسية المسوق لها كلام المتكلم"[18]. وقد ذكر الدكتور محمد محمد يونس ستة أنواع من الافتراضات، قال : "ومن أنواع الافتراضات المعروفة في علم الدلالة:

أ- الافتراض الوجودي:

وهو افتراض مستمد مما يحدث في العالم الخارجي"[19], كقول أبي العلاء: "وتحدّثَ العامَّة أنَّ غلماناً وردوا مِنْ بلاد الروم إلى حضرته العالية, واختلف فيهم القول, فقال بعض الناس: هم هدية مِنْ زعيم الروم. وقال آخرون: بل (السيد عزيز الدولة) – أعزَّ الله نصره – اشتراهم بماله. فإنْ كانوا هديةً, فهو – خلد الله ملكه – يجازي عنهم بأضعاف القيمة. وإنْ كانوا شراءَ ماله فإنَّ ذلك أجدر بالنماء والبركة, وزعموا أنَّ عدَّتهم نيفٌ وثلاثون, ولم يثبتوا في العدة على قول واحد"[20].

يتحدث المعري في النص أعلاه عن مراسلات (عزيز الدولة) السرية مع زعيم الروم, وتواطئه معه في تسليم (حلب) مقابل حماية زعيم الروم له.

وقوله: "تحدث العامة... اشتراهم بماله", يحتوي على مجموعة مِنَ الافتراضات لعل من أهمها: إنَّ لزعيم الروم غلماناً, وإنَّهم وردوا إلى (عزيز الدولة) على سبيل الهدية أو اشتراهم بماله, ويفترض هذا القول أنَّ هناك علاقة بين زعيم الروم و(عزيز الدولة), و"للتأكد مِنْ أنَّ كل ما سبق هي افتراضات وليست مِنْ منطوق الكلام أنَّ نفي القولة"[21] بقولنا: لم يتحدث العامة عن غلمان وردوا إلى عزيز الدولة مِنْ زعيم الروم. فهذا النفي لا يلغي تلك الاستنتاجات. أمَّا المعنى المنطوق للنص السابق فهو: الإخبار بورود غلمان مِنْ زعيم الروم إلى (عزيز الدولة) وأنَّ الناس قد اختلفوا فيهم قولاً وعدداً.

والقصد الذي أراد المعري تمريره تمريراً خفياً حتى كأنَّه لم يكن ما سيق الكلام لأجله, هو إنكاره على (عزيز الدولة) الإسراف في أموال الرعية, التي هم أحوج ما يكون إليها بسبب ما لحقهم مِنْ تشرد وفقر في أثناء (جفلة عزيز الدولة), وذمَّ تقديم المصلحة الخاصة على العامة, واستغلال (عزيز الدولة) مكانته وسيادته للإضرار بالرعية مِنْ سكان حلب.

أمَّا غرضه فهو التعليم: لأنّه أردف النص المذكور سابقاً بعدة أعاريض الشعر على مذهبي الخليل والزجاج, وذكره ما كاد الإجماع يقع عليه في ذلك قال: "وزعموا أنَّ عدّتهم[22] نيف وثلاثون, ولم يثبتوا في العدة على قولٍ واحدٍ, فإن كانوا أربعة وثلاثين فهم في عدة أعاريض الشعر على رأي (الخليل), وإن كانوا اثنين وثلاثين فهو مذهب (الزجاج) في أنَّ الشعر له اثنان وثلاثون عروضاً, وإن كانوا واحداً وثلاثين – وعليه كاد الإجماع يقع – فهم في عدة القوافي المتواترة"[23].

أمَّا غايتاه الخطابيتان فهما: السخرية مِنْ (عزيز الدولة)؛ لتواطئه مع العدو طمعاً في الملك. والفخر بسعة الاطلاع, وغزارة العلم,(لقد أراد المعري أنْ يبرهن لمتلقيه أنَّ إحاطته باللغة (نحواً وصرفاً وعروضاً) منقطعة النظير في عصرٍ كثرت فيه مظاهر الفوضى والعجمة واللحن)[24].

ب- "افتراض الحقائق: وهو افتراض يأتي بعد أفعال تدل على وجود حقيقة ما يغض النظر عن صدق تلك الحقيقة في

DOI:10.52113/uj05/021-14/876-885

الواقع"[25], ومِنْ ذلك قول أبي العلاء: "قد نفذت رقعتي بالأمس إليه – أطال الله بقاءه – أحثه فيها على إطلاق محبوس, في إطلاقه صلاح, وما سألته أنْ يصفح عن جنايته, ولا يتجاوز عنْ ذنبه, وفي هذه السبرة, جاءت أمه محزونةً كئيبة, تزعم أنَّ طملاً دخل عليها في الجهمة فذبح لها ولابنها أربعاً مِنْ أمات الكيك[26], وهي متفجعة لذلك كأنَّها مِنْ الدجاج الذي زعم الإسكندر لملك فارس أنَّه كان يبيض بيض الذهب"[27].

يظهر مِنَ النص أعلاه أنَّ المعري كتب هذه الرسالة يطلب مِنْ أحد معاصريه, ذي الوجاهة والسيادة أنْ يطلق محبوس قد سُجِنَ عنده لذنب اقترفه, وكان طلب المعري بعدما توسلت والدة ذلك المحبوس بالمعري, واستنجدت به, بعد أنْ بقيت بغير معين بعد سجن ابنها, فدخل عليها لص, وذبح لها ولإبنها (أربعاً مِنَ الدجاج).

يوحي النص بفقر تلك العائلة, وكأنَّها لا تملك غير ما سرق منها مِنَ (الدجاج), ولذلك يصف حال تلك المرأة بعد الحادثة بأنَّها "متفجعة لذلك كأنَّها مِنْ الدجاج الذي زعم الإسكندر لملك فارس أنَّه كان يبيض بيض الذهب", فكأنَّ دجاجاتها كانت تساوي عندها ذهباً, كونها لا تملك غير ذلك شيئاً.

يحتوي النص السابق على عدد مِنَ الافتراضات, منها: أنَّ رقعة مِنَ المعري قد نفذت إلى أحد معاصريه, يحثه فيها على إطلاق محبوس عنده, وأنَّ لذلك المحبوس والدة, وأنَّ المحبوس ولد, وأنَّ والدة المحبوس تعرف المعري؛ لذلك ذهبت إليه؛ لتطلب منه المساعدة في إطلاق ابنها, وأنَّ للأم وولدها (دجاجات), وأنَّ عدد (الدجاجات) أكثر مِنْ أربع بقرينة (من) في قوله: "فذبح لها ولابنها أربعاً مِنْ أمات الكيك", فـ(من) هنا دالة على التبعيض, ولو لم يكن عندها أكثر مِنْ أربع لما أتى بـ(مِنْ), ولربما قال: (ذبح دجاجاتها الأربع), أو (ذبح دجاجاتها) من دون تحديد العدد، وأنّ ثمة سارقا سرق تلك الدجاجات عندما عَلِمَ بأنّ صاحب البيت غير موجود ؛ولهذا حرر المعري رسالته (رقعته) ليطلب بإطلاق سراحه .

مما سبق نلحظ أنَّ كل الافتراضات المستنتجة مِنَ النص السابق, جاءت بعد أفعال كـ(الكتابة, الحبس, طلب الشفاعة, دخول اللص, ذبحه أربعاً مِنَ الدجاج), وأنَّ هذه الأفعال دلت على حقائق, قد تكون مطابقة للواقع, والسياق يؤيد صدقها وحقيقتها.

أراد المعري مِنَ النص السابق وما حمل مِنَ افتراضات, أنْ يوصل لمتلقيه مقاصد مهمة, منها:

المقصد الأول: إظهار اهتمامه الكبير, وسعيه في قضاء حوائج الناس.

المقصد الثاني: إنَّ الغاية تبرر الوسيلة, وإذ قد يكون في إطلاق المحبوس المذنب صلاح لا يتحقق بسجنه.

المقصد الثالث: ينبغي عدم التمييز بين الناس بحسب معتقدتهم أو لونهم أو جنسهم, فقد كان مَنْ طلب المعري اخراجه مِنَ السجن نصرانياً[28].

وغرضه مِنْ ذلك الطلب مِنَ المخاطب إخراج المحبوس لكي يرجع إلى أمه كونها من دون معين, وهي بأمس الحاجة إليه.

أمَّا غايته الخطابية فهي: التأثير بالمتلقي لتحقيق ما سيق الخطاب لأجله, إذ لا يعد الخطاب ناجحاً ما لم تتحقق الغاية منه.

ولمسلك السوق أثره الواضح في الوصول إلى المقاصد, وذلك بقرينة السياق, والقرينة اللفظية (مِنْ), فللسياق أهمية " في توليد المحتوى الضمني أو إنشائه"[29].

ت- الافتراض المعجمي: "وهو افتراض يرتبط ببعض الكلمات المركبة التي تشتمل على دلالة غير مصرح بها ولكنها مندرجة على نحو تكون فيه شرطاً سابقاً لتحقيق معنى الكلمة الظاهرة, كدلالة الفعل دخل على خروج سابق"[30].

ومِنْ أمثلته في الرسائل العلائية قول المعري:" وإنّي لأصبو إلى لقائه صبابة العود إلى وطنه, والشجن إلى شجنه, وأحنّ في خلال ذلك إلى مناجاته حنين الشوارف إلى السِّقاب[31]..."[32]

ثم قال بعد ذلك : "حتى يقدم على أطفاله, فهم لغيبته مبتئسون, وبشؤونه كل وقت يسئلون سؤال المجدب بالكلأ..."[33].

هذا جزء مِنْ رسالة كتبها المعري "إلى بعض أولياء السلطان يشفع في صديق له كان عاملاً يُعرف بالحسين بن عنبسة بن عبد الله"[34], وقد اشتملت بعض الكلمات في النصين السابقين على دلالات غير مصرح بها, مِنْ ذلك كلمة (لقائه) التي تشتمل على (فراق أو بعد سابق), وكلمة (يقدم) التي تندرج تحتها دلالة (أسر سابق), وكلمة (غيبة) التي تندرج تحتها دلالة (حضور سابق).

وكل هذه الدلالات (غير المصرح بها) هي شرط سابق لتحقيق معنى الكلمات الظاهر, إذ لا يتحقق معنى (القدوم) ما لم يسبقه أسر, وكذلك الأمر لـ(اللقاء, والغيبة), فلا يتحقق معناهما الظاهر ما لم يشتملا على دلالتي (الفراق, والحضور) السابقين؛ فكانت

DOI:10.52113/uj05/021-14/876-885

"الافتراضات المسبقة في الأساس شروطاً مفروضة حتى يكون توظيف الملفوظ مضبوطاً"[35].

ومِنْ أهمِّ المقاصد الخطابية في النص العلائي هي:

المقصد الأول: إظهار المعري مودته لصديقه (المشفوع له), والتصريح بذلك أمام مخاطَبه (المرسَل إليه), لعلَّ ذلك يكون عاملاً مساعداً في تحقيق الشفاعة له, قال: "وإنّي لأشتهر بمودته اشتهار الأبلق العقوق"[36].

المقصد الثاني: وصف حنينه وشوقه إلى صديقه, مشبهاً ذلك بحنين الناقة إلى ولدها, وشوق الجمل البعيد إلى وطنه, واختيار المرسل للمشبه به دون غيره؛ لأنَّ هذا الصنف مِنَ الحيوانات عُرف بصدق حنينه ورقته, وشوقه الحار إلى ما يتطلع إليه.

المقصد الثالث: استعطاف المرسَل إليه, بوصف أطفال (المشفوع له), وإظهار معاناتهم لفقدهم والدهم, ومحاولته ترقيق قلبه, لما في ذلك مِنْ أثر في تحقيق الغاية الخطابية, وهي تحقيق الشفاعة لصديق مقرب, وإطلاقه, لعله يرجع إلى أبنائه ومحبيه.

ونلحظ مما سبق أنَّ لمسلك السوق الأثر الواضح في تحقيق المقاصد والغرض والغاية, إذ تحولت بعض المعاني الثانوية في النص إلى معانٍ أساسية, كأنَّما سيق الخطاب لأجلها, وكل ذلك حصل مِنْ خلال عملية (التبئير), إذ أصبحت بعض العناصر في النص السابق هي (البؤرة) التي يدور الحديث حولها, والمقصود بالبؤرة: العنصر " الحامل للمعلومة الأكثر أهمية, أو الأكثر بروزاً في الجملة"[37].

ث- الافتراض التركيبي: "هو افتراض ينشأ مِنَ المركبات, ومِنْ أمثلته ما ارتبط بصوغ الأسئلة على افتراض مزعوم"[38], كأنْ "يقول الشريك (أ) في حوار للشريك (ب): كيف حال زوجتك وأولادك؟. فالافتراض المسبق لهذا الملفوظ هو أنَّ الشريك (ب) (متزوج وله أولاد), وأنَّ الشريكين (أ) و(ب) تربطهما علاقة ما تسمح بطرح هذا السؤال"[39].

ومِنْ مصاديقه في الرسائل العلائية قول المعري على لسان ابن القارح سائلاً الشاعر (لبيد) بقوله: " فما مغزاك في قولك؟:

وصبوح صافيةٍ وجذبِ كرينة بموترٍ تأتالُه إبهامُها[40]؟

فإن الناس يروون في هذا البيت على وجهين: منهم من يُنشدهُ تأتالُه، يجعلُه تفتعله، من آل الشيء يَؤُولُه إذا ساسه، ومنهم من ينشد: تأتالَه من الإتيان. فيقول (لبيدٌ)[41] : كلا الوجهين يحتمله البيت، فيقول, أرغم الله حاسده: إنّ (أبا عليّ الفارسيّ)[42] كان يدّعي، في هذا البيت، أنَّه مثل قولهم: اسْتَحَى يَسْتَحِي، على مذهب (الخليل) و(سيبويه)؛ لأنَّهما يريان أنَّ قولهم: اسْتَحَيْتُ، إنَّما جاء على قولهم استحايَ، كما أن استقمت على استقام، وهذا مذهبٌ ظريفٌ؛ لأنّه يعتقد أنّ تأتى مأخوذةٌ من أوى، كأنّه بُني منها افتعل، فقيل: ائْتَايَ، فأعلّت الواو كما تعلُّ في قولنا: اعتان مِنَ العون، واقتال من القول. ثمّ قيل: ائتَيتُ، فحُذِفَت الألف، كما يقال: اقتلتُ. ثمّ قيل في المستقبل، بالحذف، كما قيل: يَسْتَحِي. فيقول (لبيدٌ): معترضٌ لعنٍ لم يعنه، الأمر أيسر ممّا ظنَّ هذا المتكلِّف"[43].

يعرض المعري في النص السابق أصل اشتقاق الفعل (تأتال), وما يمكن أنْ يحمل عليه مِنْ دلالة أو توجيه, ذاكراً آراء بعض العلماء في هذا الشأن, وواصفاً بعضها بالتكلف في إشارة مِنه إلى سعة اطلاعه واعتزازه برأيه ودقة توجيهه.

وعوداً إلى ما سيق النص لأجله (الافتراض التركيبي), فإنَّ موطن الافتراض يكمن في قوله: "فما مغزاك في قولك", الذي يفترض أنَّ المخاطَب (لبيد), هو مَنْ قال هذا البيت, وأنَّه عارف بمغزاه, وأنَّ السائل يعلم أنَّه سيُجاب عمَّا سأل, وأنَّ بين السائل والمسؤول علاقة ما.

وكل تلك الافتراضات تكون متضمنة في القول السابق إذا ما نظرنا إليه بوصفه قصة خيالية (مفترضة).

أمَّا إذا نظرنا إلى النص السابق على أنَّه نصٌ حقيقيٌّ مِنْ إنشاء المعري, كونه (السائل والمجيب), فسيكون الافتراض: أنَّ أبا العلاء يعلم بجهل المتلقي (ابن القارح) بأصل اشتقاق هذا الفعل, وتوجيهه, ولذلك أخبره عنه.

وأراد المعري بالنص السابق المقاصد الآتية:

المقصد الأول: ذمُّ تنازع التكلف وإنكاره في توجيه المسائل وتحليلها.

المقصد الثاني: بيان سعة اطلاعه, وغزارة علمه, بدلالة عرضه المسألة مفصلةً.

المقصد الثالث: الاعتزاز برأيه, ما دام قد رفض توجيه الفارسي في المسألة, ووصفه بالتكلف, فرد رأي بعض العلماء كأبي علي الفارسي, لا شكَّ أنَّه يحمل معنى الاعتزاز بالرأي, والثقة بالنفس في توجيه المسائل توجيهاً أقرب للقبول مما كانت عليه.

DOI:10.52113/uj05/021-14/876-885

المقصد الرابع: استهجان اعتراض المعترض على ما ليس مِنْ شأنه, وكأنَّ المعري يحيل في هذا المعنى إلى قوله تعالى:"وَلا تَقفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ "[44].

أمَّا غرضه فهو: التعليم, كونه عرض للمسألة, وذكر آراء بعض العلماء فيها.

وغايته مِنْ ذلك: التنبيه والتوجيه, فبعد أنْ وصف ابن القارح بأنَّه: أديب حاذق, محبٌّ للعلم, أخذ يبين له بعض المسائل التي ينبغي أن يكون ابن القارح ملماً بها.

ج- الافتراضات التوهمية: "ومِنْ أمثلتها (زيد يتوهم أنَّه ناجح) وهو ما يفترض أنَّه ليس بناجح"[45]

فمِنَ الافتراض التوهمي في النصوص محل الدراسة, قول المعري: "وزعم المرجفون من أهل ملة الطاغية، أنَه قد أمر قوماً من أهل عمله، بحفر أماكن في بلده ظنَّ المرجفون أنَّ حفرها يكون قوةً لزيادة الماء في السعيد (قويق)[46] - جعله الله الغمر السائح - وإنَّما سميته السعيد لأنَّ النهر الصغير يقال له سعيدٌ، وجمعه سُعُد... ولأنَّه سَعِدَ بقربه مِنَ (السيد عزيز الدولة, أعز الله نصره) وبكونه شرباً للمسلمين. وفي قدرة الله تعالى أنْ يجعله في الآخرة من أنهار الجنان.

وزعموا أن ذلك الموضع يتصل بالسواجير[47]. وتلك السواجير في أعناقهم إن شاء الله. وهذا فن من الكذب دل على نزول الطاغية بدار المعجزة"[48].

يتحدث المعري في النص السابق عمَّا كان يدور على ألسنة أهل حلب مِنْ "غزوٍ رومي مرتقب, فقد راجت بينهم الإشاعات والأقاويل والأراجيف, مما يشبه في مصطلحنا الحديث (حرب الإعلام ونشر الدعاية)"[49].

ومِن تلك الأراجيف التي أشاعها (المرجفون) مِنْ أهل ملة زعيم الروم, أنَّه أمر قوماً مِنْ ملته بحفر أماكن مِنْ شأنها زيادة الماء في النهر (قويق) قاصداً بذلك إغراق مَنْ هم عرضة للغرق مِنْ سكان حلب, الذين يسكنون على جانبي النهر (قويق), إذا فاض النهر عليهم.

والمعري بقوله هذا يحيل إلى ما ذكر مِنْ "أنَّ سيلاً جاء في نهر (قويق) في الليل لم يسمع بمثله, فأغرق أكثر المضارب, وأتلف الرجال, وأهلك الدواب المشبوحة"[50].

والمعري هنا يسخر مِنْ زعيم الروم وأهل ملته ومَنْ يعتقد بهذا القول غيرهم؛ فلو كان زعيم الروم "مِنَ القوة ما يدعيه أهل ملته لشرع في قطع (قويق) السري, لا في تقويته"[51].

يتضح الافتراض في النص السابق في قول المعري: "ظنَّ المرجفون أنَّ حفرها يكون قوة لزيادة الماء في السعيد (قويق)[52], وهو ما يفترض أنَّه لن يكون قوة لزيادة الماء, وأنَّهم لا يملكون القوة التي تمكنهم مِنْ فعل ذلك, فلو كانوا يستطيعون فعل ذلك لشرعوا في قطع النهر, كون القطع أيسر مِنَ الحفر والتقوية, وأشد أثراً على أهل حلب أجمعهم.

حمل النص المقاصد العلائية الآتية:

المقصد الأول: تكذيب الأراجيف؛لأنَّ تلك الإشاعات (فنٌ مِنَ الكذب).

المقصد الثاني: الانتصار اللغوي للمسلمين؛ لإدراكه أثر ذلك في رفع المعنويات, والصمود في وجه العدو, والتصدي له, قال: "و(قويقاً) المبارك, طيرةٌ لهم, فكلما زادوه مِنْ قوة فإنما يرجع وبالاً عليهم"[53].

المقصد الثالث: مدح (عزيز الدولة) ما دام قد جعل النهر سعيداً بقربه.

المقصد الرابع: إنكار الكذب وتقبيحه: "ولولا أنَّ الكذب لا يحسن بأهل الإسلام ولا بأحدٍ مِنَ الناس. لجازيناهم على كذبهم الظاهر"[54].

وغرضه الخطابي: توجيه المسلمين إلى أخذ الحيطة والحذر مِنْ خدع العدو ومكره, كون العدو يسعى إلى تحقيق النصر على المسلمين بشتى السبل والوسائل.

أمَّا غايته فهي: التأثير, إذ لا يتحقق الانتصار إلَّا برفع المعنويات, والاستعداد للعدو, وإفشال مخططاته.

وباختيار المرسِل الألفاظ (زعم, المرجفون, ظنَّ) التي توحي بكذب ما بعدها, والشك فيه, يكون لمسلك السوق أثرٌ كبيرٌ في تحقيق المقاصد المذكورة, إذ تعد هذه الألفاظ قرائن لفظية على تلك المقاصد.

ح- "افتراض النقيض: ومِنْ أمثلته (خالد يتظاهر بالمرض) التي تفترض أنَّه ليس مريضاً "[55].

ومِنَ افتراض النقيض في النصوص مدار البحث, قول أبي العلاء: "وما يلحقني الشكُ في أنَّ (دعبل بن عليّ)[56] لم يكن له

DOI:10.52113/uj05/021-14/876-885

ديـنٌ، وكان يتظاهر بالتشيُّع، وإنَّما غرضه التكسب، وكم أثبت نسباً بتنسب, ولا أرتاب أنَّ (دعبلاً) كان على رأي (الحكمي)[57] وطبقته، والزندقة فيهم فاشية، ومِنْ ديارهم ناشية[58] .

يذكر المعري بعض الشخصيات اللغوية والأدبية[59] , وما يتعلق بحيثياتهم مِنْ أخبارهم, ومذاهبهم, وخصوماتهم, في إشارة منه إلى "عظم درايته, وخبرته, واطلاعه على كل ما يتعلق بحيثياتهم, مِنْ محاسنهم ومساوئهم"[60] .

وفي النص السابق يبدي المعري رأيه في أحد تلك الشخصيات, وهو (دعبل الخزاعي), فهو عنده (لا دين له), وإنَّما يتظاهر بالتشيع لغرض التكسب, وهو ليس كذلك, كما أنَّه ألحقه بأبي نواس في زندقته, و"الزنادقة هم الذين يسمون الدَّهرية, لا يقولون بنبوة ولا كتاب"[61] .

ثم يصرح المعري بأنَّ الفرق التي ظهرت بعد الفتوحات الإسلامية إنَّما سببها يرجع إلى "ممازجة العرب غيرهم مِنَ الطوائف, وسمعوا كلام الأطباء وأصحاب الهيئة وأهل المنطق, فمالت منهم طائفة كثيرة"[62] .

وعوداً إلى ما سيق النص له (الافتراض النقيض) نلحظ أنَّه يكمن في قوله: "كان يتظاهر بالتشيع" الذي يفترض أنَّه ليس شيعياً عند المعري, بل ألحقه وأبي نواس بالزنادقة, وإنْ ثبت تشيعه عند بعضهم[63] .

وقد ساق المعري النص السابق للمقاصد الآتية:

المقصد الأول: بيان رأيه في الشاعرين ومعتقدهما.

المقصد الثاني: التركيز على مسألة مفادها: انتشار مجالس اللهو, وشرب المحرمات, في العصر العباسي, والخروج عن الإسلام بشكل لم يسبق له مثيل في العصرين (عصر صدر الإسلام, العصر الأموي), والمعري يرجع السبب في ذلك إلى سعة الفتوحات الإسلامية, وممازجة العرب ومخالطتهم غيرهم مِنَ الطوائف الأخرى.

المقصد الثالث: ذم الكذب والنفاق وإنكارهما, قال: "فنطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الإنسان؛ لأنَّ العالم مجبول على الكذب والنفاق[64] .

المقصد الرابع: ذم وإنكار اتخاذ العقيدة والشعر وسيلة للتكسب.

وغرضه: توجيه الإنسان إلى التمسك بالإسلام وتعاليمه, والابتعاد عمَّا يخالفه مِنْ الطوائف الأخرى, والتركيز على ضرورة حفظ الإنسان ماء وجهه, وعزة نفسه, ولا يهدرها في سبيل الحصول على المال.

أمَّا غايته فهي: تنبيه الناس على نيات الشاعر التي تناقض أفعاله .

(النتائج)

1- لمراعات مرجعيات الخطاب العلائي أهمية بالغة وأثر كبير في تحديد المقاصد والأغراض والغايات الخطابية.
2- الافتراض أقرب إلى التلميح منه إلى التصريح, وهذا ما ينسجم ومقامات الخطاب العلائي؛ إذ إنَّ هناك مقاصد وغايات لا يمكن التصريح بها لأسباب كالخوف مِنَ السلطة وغير ذلك.
3- للافتراض الأثر الواضح في تحقيق المقاصد والغايات الخطابية, وذلك بإبراز المعاني الثانوية في النص, وتحويلها إلى معانٍ أساسية, كأنَّما سيق الخطاب لأجلها، وهذا ما اتضح من الوقوف على الافتراضات .
4- سعي المعري لإظهار قدرته اللغوية أنَّى وجد لذلك محلاً, وما يعضد هذا الأمر ويؤيده تكرار غاياته وأغراضه العلمية.
5- تعاضد المسالك وتأزرها في سبيل تحقيق أغراض أو غايات معينة.

الهوامش

(1) تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة ،د0 محمود عكاشة :11 .
(2) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى :د. محمد محمد يونس، 6 .
(3) نفسه : 7 – 8 .
(4) نفسه : 77 _ 78 .
(5) استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية : عبد الهادي بن ظافر الشهري 62 .
(6) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى : 100 – 101 .
(7) النص والسياق ،فان دايك : 142 .
(8) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى : 103_104 .
(9) نفسه : 142 .
(10) معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، د0 محمد سمير : 186 .
(11) لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب, ذهبية الحاج: 136.
(12) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: 146.
(13) لسانيات التلفظ: 196.

DOI:10.52113/uj05/021-14/876-885

(14) المضمر: كاترين كير برات – أور يكيوني، 44 – 45.
(15) التداولية, جورج يول: 51.
(16) نفسه: 53.
(17) التداولية واستراتيجية التواصل:د. ذهبية الحاج حموا ، 227.
(18) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: 148.
(19) نفسه: 146.
(20) الصاهل والشاجح: أبو العلاء المعري ، 691.
(21) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: 146 – 147.
(21) أي الغلمان.
(23) الصاهل والشاحج: 691.
(24) ينظر: رسالة الغفران دراسة أسلوبية: محمد جاسم ، 119.
(25) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى:147.
(26) السبرة: الغداة الباردة, (العين: 251/7), الطمل: اللص, العين: 432/7, الجهمة: أو مآخر الليل, المحيط الأعظم: 180/4, الكيكة: البيضة, لسان العرب: 481/10.
(27) رسائل أبي العلاء المعري: 250.
(28) ينظر: رسائل أبي العلاء المعري: 251.
(29) التداولية واستراتيجية التواصل: 225.
(30) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: 147.
(31) الصبابة: رقة الشوق, الصحاح: 161/1, العود: الجمل المسن, تهذيب اللغة: 80/3, الشارف: الناقة المسنة, العين: 253/6, السقب: ولد الناقة, العين: 84/5.
(32) رسائل أبي العلاء المعري: 73.
(33) نفسه: 76 – 77.
(34) نفسه: 72.
(35) التداولية واستراتيجيات التواصل: 236.
(36) رسائل أبي العلاء المعري: 73.
(37) الوظائف التداولية: يوسف تغزاوي ، 28.
(38) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: 147.
(39) التداولية عند علماء العرب: د. مسعود صحراوي، 31.
(40) ديوان لبيد بن ربيعة: 175.
(41) لبيد بن ربيعة بن مالك, شاعر جاهلي محسن, أدرك الإسلام وأسلم, وكانت وفاته في أول خلافة معاوية, ينظر: الشعر والشعراء: 266/1 – 267, المؤتلف: 299/1.
(42) أبو علي الفارسي: هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار, ولد بفارس, وهو مِنْ أكابر النحويين أخذ عن أبي بكر بن السراج, توفي (377هـ) ببغداد, أنباه الرواة: 308/1 – 309, نزهة الألباب: العسقلاني، 232/1 – 233.
(43) رسالة الغفران: أبو العلاء المعري ، 217 – 218.
(44) الإسراء : 36 .
(45) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: 148.
(46) قويق: اسم نهر قريب مِنْ حلب, زبدة حلب: 148.
(47) الساجور: خشبة تجعل في عنق الكلب, الصحاح: 677/2.
(48) الصاهل والشاحج: 550.
(49) صورة نازحي حلب في رسالة الصاهل والشاحج, د. علي عبد الإمام, جامعة ذي قار, كلية الآداب, مجلة آداب البصرة, العدد 81, 2017م.
(50) زبدة حلب: ابن العديم ، 148 – 149.
(51) الصاهل والشاحج: 252.
(52) نفسه: 550.
(53) نفسه: 551.
(54) نفسه: 553.
(55) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: 148.
(56) دعبل بن علي الخزاعي, كان شاعراً مجيداً, مدح الخلفاء والملوك, ولد في سنة ثمان وأربعين ومائتين, شذرات الذهب: 213/3, الشعر والشعراء: 238/2 – 239.
(57) أبو نواس: أبو علي الحسن بن هانئ, الحكمي الشاعر العباسي المشهور. ولد بالبصرة ونشأ بها, وهو في الطبقة الأولى مِنَ المولدين, وعرف بالفصاحة والبلاغة, الشعر والشعراء: 784/2, وفيات الأعيان: 95/2 – 96, شذرات الذهب: 451/2.
(58) رسالة الغفران: 420.
(59) نفسه: 420, 422, 424, 430.
(60) رسالة الغفران دراسة أسلوبية: 90.
(61) رسالة الغفران: 429.
(62) نفسه: 420.
(63) شذرات الذهب, عبد الحي بن أحمد بن محمد: 213/3.
(64) رسالة الغفران: 419

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،عبد الهادي بن ظافر الشهري ،ط1،دار الكتب الوطنية ،بنغازي ،ليبيا،2004 .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة ،جمال الدين أبو الحسن القفطي(ت 646 هـ)،تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط1 ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،ومؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت ،1406 هـ_1982م.
- تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والأقناع الحجاجي في الخطاب

DOI:10.52113/uj05/021-14/876-885

- النسوي في القرآن الكريم ،د0محمود عكاشة ،ط 1 ، د. دار النشر للجامعات ،القاهرة ،2013م.
- تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغايات ،محمد محمد يونس علي ،ط1 ،دار كنوز المعرفة ، عمان ،1437هـ _2016م.
- التداولية ،جورج يول ،ترجمة :د. قصي العتابي ، ط1 ،دار الأمان ،الرباط ،1431هـ _2010م.
- التداولية عند علماء العرب ، د. مسعود صحراوي ،ط1،دار الطليعة ،بيروت، لبنان ،2005م.
- التداولية واستراتيجية التواصل ،د. ذهبية حموا الحاج ،ط1،رؤية للطباعة والنشر ،2015م .
- تهذيب اللغة ،محمد بن أحمد الأزهري (ت 370 هـ)،تح :محمد عوض مرعد ،ط1 ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،2001م.
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، (د.ط) دار صادر ،بيروت .
- رسائل أبي العلاء المعري ،أبو العلاء المعري ،تح : حسّان الطيمي ،ط1 ،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،1426هـ_ 2005م.
- رسالة الصاهل والشاحج ، أبو العلاء المعري ،تح: د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ،ط2 ،دار المعارف ،1404 هـ _1984م.
- رسالة الغفران ،أبو العلاء المعري (ت 449 هـ)،تح :د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ،ط3، دار المعارف ،1963م.
- زبدة الحلب في تاريخ حلب ، عمر بن أحمد بن هبة الله كمال الدين ابن العديم (660 هـ)،تح : خليل المنصور ، ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان ،1417هـ _1996م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،عبد الحي بن أحمد بن محمد العماد (ت 1089 هـ) ،تح: محمود الأرناؤوط ،ط1،دار ابن كثير ،دمشق ،1406 هـ_1986م0
- الشعر والشعراء ،أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (276 هـ)،دار الحديث ،القاهرة ،1423م .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،أبونصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393)،تح: أحمد عبد الغفور ،دار العلم للملايين ، بيروت ، 1407هـ_ 1987م.
- لسان العرب ،محمد بن مكرم بن علي بن منظور (ت 711 هـ) ،ط3 ،دار صادر ،بيروت ،1414هـ.
- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ،د.ذهبية حمو الحاج ،ط2 ،دار الأمل ،المدينة الجديدة ،تيزي وزو،2012 م.
- المحكم والمحيط الأعظم ،أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة (ت 458هـ)،تح :عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية ،بيروت، 1421هـ_ 2000م .
- المضمر ،كاترين كيبر برات _ أور يكيوني، ترجمة :ريتا خاطر،ط 1 ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،2008م.
- العين ،الخليل ابن أحمد الفراهيدي(ت 170 هـ)،تح : د. مهدي المخزومي ،د0إبراهيم السامرائي ،دار ومكتبة الهلال .
- المصطلحات النحوية والصرفية ،د.محمد سمير نجيب ،ط1،مؤسسة الرسالة ،دار الفرقان ،بيروت ،1405هـ_1985م.
- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنبائهم وبعض شعرهم ،أبوالقاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت 370 هـ)،تح: د. كرنكو ،ط1 ،دار الجبل ،بيروت ،1411هـ _1991م.
- نزهة الألباب في الألقاب ،أبو الفضل أحمد علي بن محمد العسقلاني (ت 852 هـ)،تح :عبد العزيز محمد ، ط1 ،مكتبة الرشد الرباط ،1409هـ_1989م.
- النص والسياق ، فان دايك ،ترجمة :عبد القادر قنيني ،أفريقيا الشرق ،بيروت ،لبنان،2000م.

DOI:10.52113/uj05/021-14/876-885

- الوظائف التداولية واستراتيجية التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي ،يوسف تغزاوي ،ط1،عالم الكتب الحديث ،الأردن ،2014م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان (ت 681 هـ) ،تح :احسان عباس ، دار صادر،بيروت،1900م.

الرسائل والأطاريح

- رسالة الغفران دراسة أسلوبية ،محمد جاسم محمد ،جامعة القادسية ،1435 هـ_2014م.

الدوريات

- صورة نازحي حلب في رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري ،د. علي عبد الإمام ،جامعة ذي قار ،كلية لآداب ،مجلة آداب البصرة، العدد81، 2017م.

Abstract

The communicative aspect is one of the most important function of language . for successful communication, the speakers rhetorical intentions and purposes to the recipient must resort to how rhetorical purposes and intentions are achieved.

The importance of this research lies in the derivation of the rhetorical intentions, purposes, and objectives in the letters of Abu Ala Al Maari by relying on the moral and verbal clues installed in his discourse to direct the recipient to a meaning that carries the discourse without other meanings, and this is what we will show by what is known as (assumption).